سلسلة الثقافة السياسية

٥

# الاستعمار في ديار الاسلام

بقلم

الفونس غوبي



منشورات دار المكشوف

# سلسلة الثقافة السياسية

تصدر منها تباعاً الحلقات التالية :

| | |
|---|---|
| النصارى في الشرق | ( ظهر ) |
| الوحدة العربية : نشأتها وعوامل تطورها | ( ظهر ) |
| الاسلام حيال الدول العظمى | ( ظهر ) |
| مشكلة المضايق والعلاقات التركية الروسية | ( ظهر ) |
| الاستعمار في ديار الاسلام | ( ظهر ) |

تركيا بين جبارين

الانكليز في بلاد العرب

الاحزاب السياسية في الولايات المتحدة

القوى السياسية في العالم : النصرانية، الاسلامية ، اليهودية

عقدة ايران امس واليوم

الاسلام واوروبا

باكستان : دولة اسلامية في الهند

القضايا الكبرى في السياسة العالمية

ما هي السياسة ؟

كيف تنشأ الدول ؟

الطبعة الاولى بيروت – لبنان ، ٣١ نيسان ١٩٤٧

## مدخل

الاسلام المعاصر يقف حائراً على مفترق . فهو فخور بماضيه ، معتز بالغابر من امجاده . ويعتقد انه يستطيع استئناف رسالته بعد هجعة طويلة ومجاراة الغرب في مضمار العلوم والفنون . ولكنه لا يدري اي الطرق يختار . ويتهيب الانتقال الفجائي من حالة الغيبوبة غير الكاملة الى الوعي الكامل لان الطفرة غير مأمونة العواقب .

والاسلام المعاصر حريص على طابعه ، ضنين بعقائده وتقاليده ، فكيف يمكنه الحفاظ عليها جميعاً في محاولته تعويض ما فات واللحاق بالغرب الذي قطع شوطاً طويلاً في مضمار الرقي والحضارة ؟ كيف يمكنه اجتياز مرحلة الانتقال من شبه الجمود الى النهضة الجبارة دون ان يتخلى عن بعض التقاليد التي تعوق سيره وتشل حركته ؟ لقد استطاع الاسلام ، بفضل حيويته الدافقة وقوته المعنوية ، ان يرد عنه تيارات الآراء والمبادىء الهدامة ، وان يصمد في وجه المسيحية ويدحرها في افريقيا وآسيا . ولكن أيكون فوزه في هذا المضمار دليلاً على قابلية الشعوب الاسلامية للتطور ولمجاراة الامم الغربية في ميادين غاب عنها الشرق احقاباً طويلة من الزمن لينطوي على نفسه في شبه غيبوبة ؟

هذه هي الاسئلة التي تتبادر الى الاذهان كلما وضعت امكانيات الشعوب الاسلامية في الميزان .

يتوقف نجاح المسلمين في نهضتهم المعاصرة على تحقيق الوحدة

الاسلامية . ولكن هذه الشعوب ذات الحضارة القديمة ، الطامحة الى احتلال مركز الصدارة بصفتها امة فتية ، ما تزال بعيدة عن الوحدة ، لان الصراع بين القديم والجديد في دنيا الاسلام قسمها ويقسمها شطرين : شطر زاده الاستعمار الغربي والافكار الغربية نفوراً من الاجنبي فانطوى على نفسه لا يريد التعرف الى ما يعده مخالفاً لتعاليم دينه ، وشطر استهواه الغرب بنهضته وافكاره فقطع كل صلة تربطه بالماضي واخذ بالجديد من اسباب الحضارة والرقي .

الا ان زعماء النهضة الاسلامية المعاصرة يعتقدون ان في وسع امتهم الفتية استغلال متاعب الغرب والفوضى التي يتخبط فيها . فقد ابدى هذا الرأي « محمد اسعد بك » المؤرخ التركي في كتابه « الله اكبر » عندما قال : « تشهد اوروبا المنفسخة المنقسمة على نفسها ، اوروبا التي تنهشها حمى الحقد والبغضاء والحسد والخوف – تشهد تطور الاسلام ونهضته بغير اكتراث . وقد فاتها ان الامة المحمدية ، التي تبدو ضعيفة ، ما تزال فتية ، تتحين الفرص لتخرج مجدداً من الصحراء وتنقض على بلدان الحضارة الغربية الواهنة القوى . »

ولكن الغربيين ليسوا بغافلين عما يرسمه الاسلام من خطط للمستقبل . وليس ثمة ما يدل على ان شمس الغرب آذنت بالغروب . فالحرب العالمية الثانية لم تحرر الشعوب الاسلامية ولم تدك صرح الحضارة الغربية من اساسه . وقد تدرك الامم المسيطرة غداً ان استمرارها في التناحر ليفضي بها الى زوال سيطرتها ، فتعمد الى نهج خطة موحدة ازاء الاسلام الناهد للتحرر ، واضعة العراقيل في طريق موجته المتصاعدة ، ولكنها عراقيل لن تحول دون بقاء الاسلام هو اياه

ودون فتحه افاقاً جديدة بامكانياته التي لا تنفد .

ومهما يكن من امر ، فالاسلام بوضعه الحالي قوة لا يستهان بها . ومن هنا كان اهتمام الدول العظمى بالشعوب الاسلامية ، سيان في هذا الاهتمام الدول الاستعمارية والدول التي ليس في عداد رعاياها محمديون .

وفي العالم قوى ليست بذات طابع قومي : كالشركات الاحتكارية والشيوعية الدولية والفاتيكان والبعثات التبشيرية التقت الاسلام في هذا الكون الفسيح وما عتمت ان اعتمدت سياسة اسلامية معينة .

فما هي السياسة الاسلامية لكل دولة من الدول المسيطرة؟ هذا هو موضوع بحثنا .

## سياسة بريطانيا الاسلامية

صرح سياسي بريطاني في اواخر القرن التاسع عشر بقوله : « ينبغي لنا ان نحسب الف حساب لاقل حركة تقوم في تركيا ، ولكل ظاهرة جديدة في مصر ، وكل اضطراب تكون مسرحه ايران او العراق او بورما او افغانستان . ذلك لاننا نخضع الهند لسيطرتنا . »

بهذه الكلمات حدد السياسي البريطاني سياسة بلاده الاسلامية لان الاقطار التي عددها داخلة في ما كانوا يسمونه « دار الاسلام » ولان موقف الانكليز من العالم الاسلامي تمليه عليهم اما تطورات الموقف في الهند ، او حرصهم على بقاء طريق الهند حرة . ففي الحالة الاولى لا تسقط لندن من حسابها التضامن الروحي القائم بين مسلمي الديار الهندية وبين اخوانهم في سائر الاقطار الاسلامية ، فتعمل على ضوء هذه الحقيقة . وفي الحالة الاخرى تحرص على صداقة البلدان الواقعة

على طريق الهند ومعظم شعوب هذه البلدان يدين بالاسلام .

وتشرف بريطانيا العظمى مباشرة او بالواسطة على اكثر البلدان المذكورة . ومن هنا كان حرصها على عدم اغضاب العالم الاسلامي بنهج سياسة غير رشيدة في ممتلكاتها والاقطار الخاضعة لاشرافها او الواقعة ضمن دائرة نفوذها . وبالرغم من مرونة السياسة البريطانية ، رأينا بعض الاقطار الواقعة على طريق الهند او المحاذية لهذا الطريق يتبرم بسيطرتها ويحاول تحطيم النير . ورأينا البعض الاخر يتحرر فعلاً من هذه السيطرة ، ولكن الدبلوماسية النشيطة استطاعت ارغامه على خدمة المصالح البريطانية ، يعاونها في هذه المهمة عملاء اذكياء من طراز الكولونيل لورنس وجرترود بل وعبدالله فيلبي ووا كستون اوغلوب.

وثمة بلدان واقعة على طريق الهند ولكنها خاضعة لاستعمار غير الاستعمار البريطاني . فالسياسة البريطانية فيها تقوم على اثارة المسلمين ضد الدول المحتلة او المسيطرة بحيث تنشأ في الاقطار المذكورة حالة قلقة تقضي على الاستقرار وتمنع الدول المسيطرة من تهديد طريق الهند . ناهيك برغبة البريطانيين في اخراج المسيطرين ليحلوا هم محلهم في منطقة يعدونها داخلة في دائرة نفوذهم .

وفي الهند نفسها استغلت بريطانيا النزاع بين الهندوس والمسلمين ، وتذرعت بالفتن الطائفية يذكي نارها عملاؤها ، لتبرر بقاءها في تلك البلاد وتؤخر تطورها السياسي . وتعتمد لندن في الهند على ما يحلو لها ان تسميه « صداقة بريطانيا التقليدية للمسلمين » . وقد رأيناها منذ ان ثبتت قدمها هناك تأخذ بناصر هؤلاء تشجيعاً لهم على المضي في مجافاة الهندوس ورفض التعاون واياهم ليتسنى لها ان تستغل القطيعة

بالتمكين لنفوذها وسيطرتها في البلاد .

الا ان هذه السياسة ، التي كرسها التاريخ ، كانت خلال الاعوام الاخيرة هدفاً للانتقاد في بعض الاوساط البريطانية ، فنصح فريق من الساسة الاحرار لحكومة صاحب الجلالة بان تأخذ مطالب الوطنيين الهنود بعين الاعتبار وتعمل في سبيل التوفيق بين غلاة الهندوس ( حزب المؤتمر ) وغلاة المسلمين ( حزب الرابطة الاسلامية ) تمهيداً لمنح البلاد استقلالها دون ان يترتب على ذلك انفكاكها عن جسم الامبراطورية .

فهل تعمل الحكومة البريطانية بهذه النصيحة ؟

يلوح ان لندن ترغب في التفاهم وحزب المؤتمر الهندي ، ولكنها تحسب الف حساب لنفور مسلمي الهند من سياستها ، لعلمها ان العالم الاسلامي يغضب لغضبته سبعون مليوناً من المحمديين الذين تتكلم الرابطة الاسلامية الهندية باسم غالبيتهم الساحقة . ولا ننس ان الانكليز تعلموا على حسابهم ان الشعوب الاسلامية تتضامن في السراء تضامنها في الضراء . ففي العام ١٩١٩ احتج مسلمو الهند على اخضاع بريطانيا الاقطار العربية لسيطرة بعض الدول الاوروبية بالرغم من الوعود المقطوعة للمغفور له الملك حسين بن علي . واحتجوا اكثر من مرة على وعد بلفور وعلى السياسة البريطانية في فلسطين ومصر . فمن يضمن لانكلترا غداً سكوت المصريين والعراقيين والحجازيين والسوريين ان هي تخلت عن اخوانهم في الهند ؟

عمدت بريطانيا ، حرصاً منها على حماية طريق الهند ، الى تحقيق حلم الكولونيل لورنس : الوحدة العربية ، بعد ان توفرت لديها

العناصر المطمئنة الى ملائمة هذا المشروع لمصالحها وخططها . الا ان الخطى التي خطتها البلدان العربية في سبيل الوحدة لم تسفر حتى الان عن اكثر من منظمة اقليمية اطلق عليها اسم « الجامعة العربية » . ويبدو العرب غير متفقين بشأن الخطوة التالية . فبعضهم يقول بالوحدة والبعض الآخر بالتعاهد . ويقف الانكليز موقف المتفرج الحذر لانهم لا يرتاحون الى رؤية العرب متكتلين تكتلاً قد يهدد مصالحهم ، ويفضلون على « الوحدة » و « التعاهد » نوعاً من الاتحاد « الفدرالي » يبقي لكل من البلدان صاحبة الشأن حق ادارة شؤونه بنفسه ، فيتسنى لبريطانيا ان تستغل الخصومات التقليدية والمنافسات القائمة بين بلد وآخر .

غير ان اقطاب السياسة العربية الذين يعملون مستقلين عن المرشدين البريطانيين يعتقدون ان الوحدة والاتحاد لا يفيدان العرب ما دام ثمة اقطار خاضعة للاشراف البريطاني ، ويقولون بتحرير هذه الاقطار كشرط اساسي لقيام الوحدة المنشودة . اي ان الوحدة العربية مرادفة في نظر هؤلاء للتحرر من السيطرة الاستعمارية . وهو عكس ما ينشده الانكليز من لم شتات العرب وتوجيههم متحدين الوجهة التي تتفق ومصالح الامبراطورية .

ولم يبق سراً ان عملاء بريطانيا و« فرسان القديس جاورجيوس » عملوا ويعملون على استمالة الزعماء العرب واقناعهم بحسن نية لندن . وقد افلح المنطق والذهب البريطانيان في حمل فريق من هؤلاء الزعماء على تبني مشاريعها في دنيا العرب ولاسيما الاقطار التي تخضع لنفوذ دول اوروبية اخرى . وسجل عملاء انكلترا فوزهم الاول سنة ١٩٤٣ لما

استغلوا ببراعة متاعب فرنسا في سوريا ولبنان واستمالوا اليهم السكان بتأييدهم المطلق لاستقلال البلدين . وقد خرجت فرنسا من دولتي المشرق ، فخلا الجو لبريطانيا الصديقة الجديدة ، وامنت خطر دولة اوروبية كانت تسيطر على بقعة تجتازها طريق الهند .

هل أمنت بريطانيا العظمى شر المزاحمة الاجنبية بخروج فرنسا نهائياً من سوريا ولبنان وبانهيار الامبراطورية الايطالية في افريقيا ؟

لقد برز للانكليز مزاحمون اقوياء هم الروس والاميركيون . فمنذ ١٩٤١ شرع الروس يندفعون شطر الخليج الفارسي . وقد اغضت لندن عن هذه الحركة لانها لم تشأ اغضاب الحليف الاحمر في اثناء الحرب ، واكتفت باحتلال جنوب ايران بحجة حماية مصالحها البترولية . بيد ان موسكو ما عتمت حتى اماطت اللثام عن مقاصدها ، فهي ذات مطامع تقليدية في ايران ، وطالما وقف الانكليز حائلاً بين الدب الروسي وبين فريسته لان البلاد الايرانية واقعة على طريق الهند .

لم تشأ لندن العمل جهاراً ضد الروس في ايران فعهدت الى جواسيسها بالمهمة . فنثر هؤلاء الذهب في مناطق الحدود الايرانية - السوفياتية وحرضوا القبائل الكردية على تخريب الطرق والجسور والسكك الحديدية لعرقلة تقدم الجيش الاحمر في الاراضي الايرانية . وفي الوقت نفسه كانت الدبلوماسية البريطانية تعالج الزعماء السياسيين ورجال الدين ، وتحثهم على الوقوف في وجه الخطر السوفياتي . فنجحت في مسعاها نجاحاً كبيراً بالرغم من وجود قوات الاحتلال الروسية في البلاد ، ومن نشاط حزب « توده » المدين بنشأته الى

عملاء موسكو .

ووقفت بريطانيا من المطامع الروسية في تركيا موقفاً مماثلاً ، فشجعت الاتراك على رفض كل مقترح سوفياتي يرمي الى اقفال البحر الاسود واشراك الروس في حماية المضايق . ولا يجهل ساسة انقره ان الانكليز يقفون هذا الموقف مبالغة منهم في الحرص على ابعاد الدب الروسي عن البحر المتوسط وبالتالي عن طريق الهند .

اما الولايات المتحدة الاميركية فمزاحمتها لبريطانيا في الشرق الاوسط حديثة العهد ، ولكنها مزاحمة تقض مضاجع الانكليز لان الاساليب التي يلجأون اليها في محاربة النفوذ السوفياتي في الاقطار الاسلامية لا تصلح لاقامة العراقيل في طريق الاميركيين . فالشعوب الاسلامية لا تهضم الشيوعية ، وقد عرف ابواق لندن كيف يستغلون هذا النفور وكيف يبرزون مساوىء النظام الشيوعي ومطامع الحمر في الشرقين الاوسط والادنى . ولكن السلاح نفسه لا يصلح لمحاربة النفوذ والمطامع الاميركية . وليس ادل على قلق الانكليز من اهتمام حلفائهم الاميركيين بالشرق الاوسط مما كتبته جريدة التايمز في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، وهذا تعريبه :

« لا تطمح بريطانيا العظمى الى الاستئثار بالنفوذ في الشرق الاوسط . الا انها لن تسمح بوقوع هذه المنطقة تحت سيطرة دولة اخرى لان تخليها عن مصالحها الحيوية هناك يقلب التوازن الدولي رأساً على عقب .

« ان انسحاب بريطانيا العظمى من الشرق الاوسط يعني انسحابها من البحر المتوسط ، طريقها الحيوي الى ممتلكاتها الواسعة ، فتنقطع

كل صلة بينها وبين الهند ، وتمر خطوط مواصلاتها الاستراتيجية مع اوستراليا والشرق الاقصى عبر قناة بناما الخاضعة للسيطرة الاميركية بعد ان كانت تمر عبر قناة السويس . ناهيك بمصالح بريطانيا البترولية في الشرق الاوسط . فتصبح بعيدة عن متناولها وعرضة للخطر في كل لحظة .

« ان عظمة بريطانيا ورفاهيتها هما رهن استمرار نفوذها في الشرق الاوسط . »

يتضح مما تقدم ان سياسة الانكليز في الشرق الاوسط والادنى تهدف الى اخضاع اقطارهما لاشراف بريطانيا دون سواها لان سياسة الباب المفتوح من شأنها ان تفسح في مجال التدخل امام دول اخرى تستطيع ان تهدد طريق الهند .

هذه هي الناحية السياسية الصرف من اهتمام بريطانيا بالمسلمين كافة وبالاقطار الاسلامية كدول . اما الناحية الدينية فالانكليز يعنون بها عناية خاصة لان في عداد رعايا بريطانيا مئة وعشرة ملايين مسلم .

توفرت نخبة من العلماء الانكليز على التعمق في درس الشرع والقضايا الاسلامية الشائكة . وقد انشيء في لندن معهد للدروس الشرقية ، ومسجدان كبيران تبرع بمعظم نفقات بنائهما العظماء الانكليز الذين اعتنقوا الدين الحنيف اما عن اقتناع ، او رغبة منهم في التقرب من الاوساط الاسلامية ، كما فعل السر جون فيلبي رئيس دوائر الاستخبارات البريطانية في الجزيرة العربية . وبالرغم من وجود معهد الدروس الشرقية فالسلطات البريطانية قلما تعنى بانتقاء موظفيها الاستعماريين بين خريجي المعهد المذكور . وليس بين هؤلاء الموظفين من تعمق في

درس الاسلام . اما رجال الاستخبارات فيضرب معظمهم بقسط وافر من العلوم ولاسيما الشرقية . ولا يكتفون بدرس الاسلام دراسة سطحية لئلا يجرهم جهلهم الى تخطي التقاليد والعادات في اقطار يحطونها « اصدقاء » وهو ما يقع غالباً لرجال الادارة . من ذلك ان السلطات البريطانية في العراق امرت لثلاثين عاماً خلا باقامة قداس احتفالي في الكنيسة الانجيلية ببغداد لمناسبة ذكرى مولد الرسول . وقد حسبت ان بادرة كهذه تسر السكان ، فكان لعملها صدى غير مستحب في الاوساط العراقية .

ولعل مرد جهل رجال الادارة البريطانيين للاسلام ديناً وتقاليد الى حرصهم على التقيد بتعليمات الرؤوساء القائلة بعدم التدخل في الشؤون العقائدية . ففي كل بلد دينه الاسلام لا تجد في دوائر الفتوى والقضاء الشرعي ظلًا للمستشارين البريطانيين . وهي خطة ترضي السكان ، ما في ذلك ريب ، ولكنها تخرج من ايدي الحكام جانباً من السلطة لا يستهان بخطره .

## سياسة فرنسا

لفرنسا امبراطورية مترامية الاطراف لا يقل عدد سكانها المسلمين عن ثلاثين مليوناً ، فلا غرو ان هي عنيت بالشؤون الاسلامية .

والعلاقات بين فرنسا والاسلام قديمة العهد اتسمت خلال العصور بطابع الصداقة والود المتبادل . والفرنسيون هم اول امة مسيحية قدرت عظمة الاسلام قدرها ونشدت صداقته . ففي عهد نابوليون الاول فتحت باريس عيون الغربيين على اهمية العالم الاسلامي ،

ولم تبخل هي عليه بنتاج العلوم والثقافة والفنون . وما فتئت حريصة على مبادلته الخيّر من الاشياء ، والازلي من القيم . وقد ساهمت فرنسا بعلمائها الاثريين ومؤرخيها ومهندسيها وبعثاتها العلمانية والتبشيرية وبرؤوس اموالها في النهضة الاسلامية وازدهار الاسلام . وظلت العلاقات صافية بينها وبينه حتى بعد هزيمتها في صيف ١٩٤٠ .ولم يتجهم الجو بينهما الا بسبب الانتداب الذي عهدت به عصبة الامم الى فرنسا على دولتي المشرق .

لقد كان الافضل لفرنسا ان تكتفي في سوريا ولبنان بالنفوذ السياسي تعززه الثقافة والاقتصاد بدلاً من ان تضع يدها على تركة الامبراطورية العثمانية المثقلة بالديون والمشاكل . اجل ، كان الافضل لها الاكتفاء بالعمل السياسي اللبق ، ولكنها لم تفعل مع الاسف ، فاخضعت دولتي المشرق لادارة مباشرة الى حد ما ، فترتب على هذه الخطوة تبخر نفوذها شيئاً فشيئاً . وسرعان ما اضطرت ، تحت ضغط عوامل داخلية واخرى خارجية ، للتخلي عن مركزها في المشرق .

حاولت فرنسا ان تطبق في سوريا ولبنان خططها الاستعمارية المتبعة في افريقيا لانها خلطت بين الاسلام وبين القضية الاستعمارية وحسبت الشعوب التي تدين بالاسلام في مستوى واحد من حيث التطور والاهلية . وقد قامت في الوطن الام حركتان متضادتان ترمي كلتاهما الى حمل الدولة على لزوم موقف معين من الاسلام . فقاد احداهما جماعةُ العمل الكاثوليكي وخصوم العلمانية وفصل الدين عن الدولة وصبوا نقمتهم على سياسة المحاباة التي تنهجها فرنسا العلمانية حيال الدين الاسلامي ، وهي التي اقامت العراقيل في طريق

الديانات الاخرى ولاسيما النصرانية .

القى لويس برتران سنة ١٩٢٦ محاضرة في « المعهد الكاثوليكي » موضوعها « فرنسا والاسلام » فتساءل عن الحكمة من ايثار الدولة للدين الاسلامي على سائر الاديان . وقال ان فرنسا لا تكتفي باحترام شعائر الدين الحنيف ، فهي تعاضد الاسلام وتساهم في نشره والتمكين له في ممتلكاتها ، وذلك بانفاقها على انشاء المساجد وترميم المتداعي منها ، وباعطاء التشريع في هذه الممتلكات صبغة مستمدة من القرآن .

وقاد الحركة الاخرى انصار العلمانية وخصوم الاكليروس ، فاعتبروا الاسلام ديناً وشريعة وحضارة قائمة بذاتها ، تؤلف درجة وسطى بين الحضارات البدائية وحضارة الغرب . وقد احتج هـذا الفريق لاكثر من مناسبة على مسخ المؤسسات الاسلامية ، فكتب المسيو لوشاتليه في « مجلة العالم الاسلامي » يقول : « اوجدنا في الجزائر اسلاماً فريداً في بابه ، وانشأنا مساجد ادارية ، وجعلنا من القضاة موظفين ، واخضعنا الحج للاجازة . وعمدنا الى الشرع الاسلامي فمسخنا احكامه ووضعنا قانوناً جديداً حاولنا فيه ان نوفق بين احكام الشرع وبين المبادىء التي تستند اليها القوانين الفرنسية ، فجاء عملنا مشوشاً . »

وكتب المسيو بوسكه يقول : « يمكن القول ان فرنسا لا تنهج حيال الاسلام سياسة معينة . ومن المؤسف ان الحكام الفرنسيين في الاقطار الاسلامية يناصبون سكانها العداء ، ويعملون سراً ضد نمو الاسلام وانتشاره . اما الذين يلزمون ،وقفاً حيادياً فانهم يرتجلون سياستهم ارتجالاً لان السلطات الرئيسية لم تقيدهم بخطة معينة . »

وقد ترجحت فرنسا بين النزعتين فكانت تحابي الاسلام تارة وتتنكر له تارة اخرى . وفي مستهل عهدها في الجزائر اتخذت من الضباط القدماء الذين اشتركوا في حملة مصر مستشارين للشؤون الاسلامية . وما لبثت ان استخدمت في المهام نفسها « ضباط المصالح المحلية » وحكام المقاطعات والقضاة الذين اكسبهم احتكاكهم بالسكان خبرة واسعة في الشؤون الاسلامية واتاح لهم الالمام باللغة العربية . وقد كان هذا الفريق من الموظفين صديقاً مخلصاً للمسلمين فساهم مساهمة فعالة في نشر الدين الحنيف بين القبائل الوثنية ، وهذا ما حمل المسيو مارتي على القول : « لقد نجحت ادارتنا في نشر الاسلام خلال نصف القرن الاخير نجاحاً لم يصب مثله المرابطون في غضون ثلاثمئة عام . ففي المناطق التي كان العرف والعادة يقومان فيها مقام القانون نشرنا الشرع الاسلامي بواسطة القضاة والمفتين . وبفتحنا مئات المدارس القرآنية نشرنا تعاليم الدين الحنيف واللغة العربية في اوساط البربر . وبانشائنا المعاهد الدينية ساهمنا في تخريج ائمة وعلماء يشار اليهم بالبنان . »

اخذت احزاب اليمين الفرنسية على المارشال ليوتي ذهابه بعيداً في تشجيع المؤسسات الاسلامية في المغرب . وحمل اليساريون في ربع القرن الاخير على تشجيع السلطات الفرنسية للفريق المحافظ من ابناء الجزائر وتونس ومراكش ، لان هذا التشجيع حال دون تطور المغرب تطوراً يتيح له مجاراة سائر الامم الاسلامية .

ولا يسع المؤرخ المنصف الا الاعتراف بان السياسة الفرنسية في المغرب لم تكن دائماً في مصلحة الاسلام . فشرائع « كريمو »

منحت يهود الجزائر حقوقاً لم تمنح المسلمين مثلها . وعندما الغيت هذه الشرائع في عهد فيشي نكاية باليهود لم يمنح المسلمون شيئا جديداً ، ولكنهم حرموا مؤسساتهم الديموقراطية اسوة بالوطن الام ( الغت فيشي مجلس الجزائر الاعلى واللجان الاقتصادية المحلية ) . وقد اعيدت هذه المؤسسات بعد تحرير المغرب ، ووضعت لجنة التحرر مشروعاً يتيح لمسلمي الجزائر انتخاب ممثليهم في البرلمان الفرنسي ، واستوحت الخطوط الرئيسية من مشروع بلوم – فيوليت الذي وضعه رجلا الدولة الفرنسيان سنة ١٩٣٧ .

قضى مشروع بلوم – فيوليت بانشاء مجمع انتخابي موحد في الجزائر لجمع العناصر الوطنية وحصر حق الانتخاب بعشرين الفاً يمثلون النخبة .

اما مشروع الحكومة الفرنسية الموقتة ( حكومة ديغول ) فقد وسع نطاق المجمع الانتخابي واتاح لجميع الموظفين وحملة الشهادات الابتدائية والثانوية ان يرسلوا ممثليهم الى البرلمان . وبمقتضى المشروع الجديد يصبح الناخبون رعايا فرنسيين ، ولكنهم يخضعون في الاحوال الشخصية للقانون المحلي ( الشرع الاسلامي ) .

وقد قامت في وجه المشروع اعتراضات ذات بال ، فقال فريق من الفرنسيين باستحالة التوفيق بين التشريع الفرنسي وبين تعاليم القرآن ، وحكموا سلفاً على التجربة بالاخفاق . واساء فريق من مسلمي الجزائر تأويل الخطوة الجديدة ، فزعم انها ترمي الى ارغام السكان على اعتناق الجنسية الفرنسية .

ويلوح ان السلطات الفرنسية مصممة على تحقيق اصلاحات جوهرية

في المغرب تتيح لسكانه المساهمة الفعلية في النشاط السياسي والاقتصادي دون ان يترتب على ذلك مساس بالاسلام كدين او كشريعة .

وقد درج الفرنسيون على محاباة الاسلام في مستعمراتهم الافريقية الاخرى ولاسيما افريقيا الغربية . فنفذ الحكام خلال نصف قرن سياسة تشجيع التبشير بالدين الحنيف . ولم تغير السلطات الفرنسية خطتها الا سنة ١٩١١ عندما اضطرت ، تحت ضغط العناصر الوثنية من جهة واحزاب اليمين الفرنسية من جهة اخرى ، لاقامة العراقيل المختلفة في طريق « المرابطين » الذين استمالوا الى الاسلام اربعين بالمئة من الزنوج .

واذا استثنينا هذه المداخلات التي تقتضيها في معظم الاحيان حالة الامن المحلية ، نلاحظ ان الادارة الفرنسية لا تقل عن الادارة البريطانية احتراماً لعقائد المسلمين وكرهاً للتدخل في شؤونهم الدينية .

## سياسة البلاد المنخفضة

تختلف سياسة هولندا الاسلامية عن السياسة البريطانية والفرنسية اختلافاً بيناً لانها قائمة في الاساس على اخضاع الدين لاشراف الدولة الممثلة بحكام جزر الهند الهولندية ، وعلى مراقبة النزعات التي تتجاذب المحمديين وارشادهم عند الاقتضاء .

وقد عهدت السلطات الهولندية بهذه المهمة الى « مكتب الشؤون الوطنية » التابع لوزارتي المعارف والاديان . ويضم هذا المكتب موظفين درسوا الشؤون الشرقية دراسة وافية ، واستطاعوا ان يلموا بالتيارات الدينية والسياسية والثقافية التي تتجاذب السكان ، وبنشاط

الجالية العربية في الهند الهولندية .

ومن المهام الموكولة الى المكتب تتبع النزعات التحررية في العالم الاسلامي والاهتمام بشؤون الحج . وعليه ان يرفع الى الحكام تقارير دورية عن نشاط المسلمين في شتى الحقول ، وان يتقدم بمقترحاته الى دوائر الحكومة او الى الحاكم العام مباشرة .

ويتعين على رئيس المكتب، وهو في الغالب مستشرق واسع الاطلاع ، ان يتصل بالشخصيات السياسية والدينية والاندية الادبية ، وان يحضر الحفلات الاسلامية ممثلاً الحكومة ، فيتاح له بفضل هذا التماس ان يقف على اماني المحمديين ومطامحهم وان يتعرف الى مشاكلهم .

والجدير بالذكر ان اشراف السلطات الهولندية على الاسلام كدين وكشريعة لا يتعدى المراقبة والتوجيه اللبق بواسطة اصدقاء هولندا من المسلمين انفسهم . الا ان هذا التدخل غير المرئي لا يتناول العقائد الاسلامية نفسها ، فالهولنديون اعقل من ان يدخلوا انوفهم في قضية حساسة كالقضية العقائدية . ولكنهم شديدو الحرص على تتبع التيارات الفكرية والروحية في منطقة تدين لهم بالطاعة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً .

والسياسة الهولندية في الهند الهولندية ليست كلها بين ايدي المستشرقين من رجال « مكتب الشؤون الوطنية » ، ففي الحكومة الهولندية دائرة خاصة ملحقة بوزارة المستعمرات تراقب باستمرار تنفيذ سياسة الحكومة في الممتلكات حتى اذا خرج المنفذون عن السياق المرسوم نبهتهم الى هذا الخروج . ذلك بان الهولنديين لا يرتجلون مواقفهم من الاسلام ارتجالاً ، فلهم في هذا الحقل سياسة

موسومة ولكنها مرنة ، يمكن تعديلها تبعاً لظروف الزمان والمكان .

## سياسة ايطاليا

خسرت ايطاليا في الحرب العالمية الثانية امبراطورية يربي عدد رعاياها المسلمين على سبعة ملايين . وقد كانت تطمح الى حصة كبيرة في افريقيا الشمالية والشرقية . الا انها وجدت فرنسا وبريطانيا قد سبقتاها ووضعتا ايديهما على الشطر الاكبر من الغنيمة .

عمد الايطاليون الى محاربة النفوذين الفرنسي والانكليزي في العالم الاسلامي بدعايات شتى . فزعموا انهم خير من يستعمر الامصار واقدر من سواهم على حماية الاسلام وتشجيع رسالته . ألم يصرح الوزير الايطالي دي سان جيولانو في ٤ نيسان ١٨٨٤ : « الاسلام هو حليفنا الطبيعي في نضالنا من اجل الدفاع عن الحرية في البحر الابيض المتوسط » ؟

ولا يسع المؤرخ المنصف الا ان يذكر لايطاليا الحرة تساهلها مع رعاياها المسلمين . من ذلك انها تخلت حتى ٢٢ آب ١٩١٥ عن حق تعيين القضاة في ليبيا لشيخ الاسلام العثماني ، وسمحت للخليفة بان يعين في ليبيا نائباً له مهمته الاشراف على المصالح الدينية . وفي العام ١٩١٩ منحت رعايا القيروان وطرابلس الغرب الجنسية الايطالية لما وراء البحار مع احتفاظهم بالرعوية المحلية ودون ان يترتب على ذلك مساس بقانون الاحوال الشخصية . وقد كفلت الجنسية لما وراء البحار للذين احرزوها الميزات التالية : صون حرمة المنزل وحماية الملكية الفردية ، حق الوطنيين بشغل المنصب المرموقة

في الحكومة ، حق الانتخاب والترشيح للمجالس المحلية ، حرية الصحافة . ونصت المادة ٣٢ من « الستاتوكو » ( النظام القائم ) على ان الجنسية الايطالية لما وراء البحار يمكن ان تتحول الى جنسية ايطالية كاملة ضمن شروط معينة .

الا ان سياسة التسامح هذه أولت في ليبيا تأويلا خاطئاً ، فحسبها السنوسيون دليل ضعف ، واعلنوا الثورة. وقد اضطرت ايطاليا سنة ١٩٢٠ للاعتراف بامارة السنوسي وبمنحها الاستقلال الذاتي . وشجعت هذه التنازلات الاقوام الليبية الاخرى على العصيان . وكاد الزمام يفلت من يد روما عند وصول الفاشيست الى الحكم .

عمد موسوليني الى استمالة الليبيين بالاقناع ، ولكن الادارة الفاشيستية لم تنجح في استمالة السكان ، فما كان من الدكتاتور الا ان لجأ الى الشدة القصوى ، فاسترد الاقاليم المستقلة وشرد الزعماء الطوال العمر بعد ان اعدم الفريق المتطرف منهم . وفي العام ١٩٢٨ الغى « الستاتوكو » وناط بالجنرال بادوليو ( المارشال اليوم ) ادارة المستعمرة ، فاذاع الجنرال البيان التالي :

« لن يكون سلام ما دام في البلاد متمرد واحد . لقد قررت ملاحقة الخارجين على القانون بالشدة القصوى ، ولن اتردد في ايذائهم بنفوسهم وعيالهم ومواشيهم . سأقضي على كل شيء يخصهم . » ثم عهد موسوليني الى الجنرال غرازياني ( المارشال اليوم ) بمهمة تطهير المستعمرة ، فابعد سكان القيروان عن المناطق الساحلية ، وارغم ثمانين الفاً منهم على الاقامة في الصحراء داخل معسكرات مسورة بالاسلاك الشائكة . ولم يتردد غرازياني في نصب المشانق ، وندب اليه القضاة

بعض الزعماء من الطائرات .

وعلى اثر هـــذه التدابير البربرية لجأ مئتا الف ليبي الى تونس ومراكش ومصر وآسيا الصغرى . و نقص عدد سكان طرابلس والقيروان ٢٥ بالمئة ، بينا اثبتت الاحصاءات زيادة سنوية في عدد سكان مراكش وتونس والجزائر لا تقل عن نصف مليون .

ادت سياسة الفاشيست حيال مسلمي ليبيا الى القضاء على سمعة ايطاليا في دنيا الاسلام ، في وقت كان موسوليني يطمع الى الحلول محل فرنسا وانكلترا في افريقيا والشرق العربي . وهذا ما حمل الدكتاتور على اعادة النظر في سياسته الاسلامية ، فعين صديقه المارشال بالبو حاكماً لليبيا وزوده بصلاحيات واسعة .

وصل بالبو الى طرابس الغرب في كانون الاول ١٩٣٣ واستهل عهده بالسماح لسكان ساحل القيروان بالعودة اليه ، وباصدار بيان يدعو فيه الذين غادروا البلاد للعودة اليها . ثم امر بفتح المساجد والمدارس القرآنية ( وكان بادوليو وغرازياني قد اقفلاهـــا ) وعهد بادارة الاوقاف الاسلامية الى المسلمين بعد ان كانت خاضعة لاشراف موظف ايطالي .

وفي العام التالي جعل تعليم اللغة العربية اجبارياً وارصد مبالغ كبيرة لانشاء مساجد جديدة ومدرسة اسلامية عالية في طرابلس الغرب . ولم يكتف بالبو بالاصلاح الاجتماعي ، فقد اصدر عفواً عاماً عن المعتقلين السياسيين ، وامر بوقف الملاحقات والمحاكمات ، واعـــاد فريقاً من الولاة الوطنيين الذين عزلهم سلفه الى مناصبهم .

وفي الوقت نفسه كانت الدبلوماسية الايطالية تجاري المسلمين في

الساح الدولي الفسيح . فوقف مندوبو ايطاليا في عصبة الامم بجانب العراق ضد بريطانيا ، وكانوا مع سوريا ضد فرنسا . وانتصرت ايطاليا للعرب الفلسطينيين ضد الصهيونية ، وكان رسلها في القاهرة وبيروت ودمشق ، وجده وبغداد وفي افريقيا الشمالية الفرنسية والاسبانية يقدمون الى المشتغلين بالقضايا الوطنية الادلة على اهتمام موسوليني بالعالم الاسلامي وعلى ما تضمره ايطاليا الفاشيستية للمسلمين من خير .

وقد استخدمت ايطاليا في الدعاية ضد فرنسا وبريطانيا الصحافة والراديو وبعض الزعماء العرب الناقمين على الدولتين الاستعماريتين . وبعد احتلالها الحبشة ١٩٣٥ عمدت الى تعزيز الاقلية الاسلامية فيها ، فتأثر العالم الاسلامي بهذه البادرة ، وخيّل اليه ان موسوليني جادٌ في التقرب من المسلمين . وعندما صرح الدكتاتور في طرابلس الغرب بأنه « حامي الاسلام » لم يثر ادعاؤه هذا الا احتجاجات ضعيفة في الاوساط الاسلامية .

وكانت البانيا ، الدولة الاسلامية الوحيدة في اوروبا ، تخضع لاشراف ايطاليا الى حد ما ، فزادتها سياسة موسوليني حيال الاسلام تعلقاً بحاميتها الفاشيستية . الا ان هذا الخضوع لم ينجها من الوقوع فريسة العدوان الايطالي في السابع من نيسان ١٩٣٩ . فكان لهذا العدوان صداه في العالم الاسلامي . وانتهز الفرنسيون والانكليز الفرصة فعمدوا الى ازالة آثار الدعاية الفاشيستية في ممتلكاتهم والاقطار الخاضعة لنفوذهم . بيد ان جهودهم لم تصب النجاح المنشود نظراً لتورط الدولتين في قضيتي فلسطين والاسكندرون .

وقد نسي العالم الاسلامي ، ولاسيما البلدان الواقعة في حوض

البحر المتوسط ، مواقف ايطاليا غير الودية ابان الحرب العالمية الثانية ، وكاد ينحاز الى جانبها نهائياً لو لم تتكشف الدولة الفاشستية عن عملاق هزيل في ميادين القتال ، وتنهار تلك الاسطورة التي جعلت من موسوليني في وقت ما باعث امجاد روما .

وبانهيار ايطاليا كدولة عظمى في القارة الاوروبية زالت امبراطوريتها الافريقية من الوجود . الا ان ممتلكاتها ما وراء البحار ستظل مطبوعة بالطابع الايطالي مدة طويلة . وربما ذكر الطرابلسيون والبرقاويون وابناء الصومال والاريترة لايطاليا يدها البيضاء عليهم في الحقول العمرانية ، فهي قد حققت بموارد المستعمرات الضئيلة منهاجاً انشائياً واسعاً مهر تلك البلدان المتأخرة بالطرق والموانىء والمطارات ومحطات توليد الكهرباء . وعملت في الوقت نفسه على رفع مستوى السكان اجتماعياً وثقافياً .

## سياسة اسبانيا

لا تختلف نظرة اسباني القرن العشرين الى الاسلام عن نظرة الصليبيين اليه . فالسياسة الاسبانية حيال المسلمين مشبعة بالبغضاء والحقد لان دين التوحيد اذل اسبانيا في وقت ما وطبعها بطابعه حقبة طويلة من الزمن .

تسيطر اسبانيا على شمال مراكش . ويبلغ عدد رعاياها المسلمين هناك ستمئة الف . وقد حاولت الحكومات التي تعاقبت منذ ١٩٢٤ ان تستميل المراكشيين بالحسنى وتضع حداً لثوراتهم ، ناسجة على منوال الحكومة الفرنسية التي قضت على بواعث التذمر والاضطراب

في منطقتها المراكشية بسياسة التعمير والانشاء . وبعد سقوط الملكية مدت الجمهورية يدها الى المراكشيين داعية اياهم الى التعاون واياها على اساس المساواة في الحقوق والواجبات .

وعند نشوب الحرب الاهلية الاسبانية خيل للوطنيين في شمال مراكش ان ساعة التحرر قد دقت . ولم يفت الجنرال فرنكو من جهة والحكومة الجمهورية من جهة اخرى ما يجول في رؤوس المراكشيين ، فعمد كل منهما لاستمالة الحمية الى جانبه ، باذلاً لها شتى الوعود . وقد كان فرنكو اشد اسرافاً من حكومة مدريد ، فوعد مسلمي مراكش باعادة مسجد اشبيلية اليهم ، واكد لهم ان وطنهم سينعم بعد انتهاء الحرب الاهلية بالاستقلال الذاتي ويكون له ممثلون في حكومة مدريد ومجلسها التشريعي .

ايد المراكشيون حركة فرنكو ، وابلوا بلاء حسناً في الحرب الاهلية ، ولكن الحكومة الفرنكية تناست معظم وعودها ، واكتفت باعادة الارض الموات في مراكش الى مالكيها المسلمين بعد ان احدثت وزارة للاوقاف وعهدت بشؤونها الى عبد القادر توريس ، الزعيم المراكشي المعروف .

وخيل لفرنكو ان هذين التدبيرين وسياسة التساهل حيال الوطنيين المتطرفين التي امر المندوب السامي الاسباني باتباعها في تطوان قمينة بقطع الطريق على الدسائس الاجنبية في مراكش وبلجم النزوات المتطرفة . وقد سمى الجنرال « بيكبدير » الذي عين مندوباً سامياً ١٩٣٧ هذه السياسة « ترويض الوطنية المتطرفة » ودافع عنها بقوله ان محاولة كبت الشعور الوطني تؤدي دائماً الى تقوية هذا الشعور.

اما سياسة ترويض الوطنية المتطرفة التي اتبعها انا في تطوان فقد جعلت مني معلم اعتراف الزعماء الوطنيين ومستشارهم المسموع الكلمة . وتقضي خطتي حيال هؤلاء بالحبس عليهم في نطاق بضم مطامحهم بحيث لا يتجاوزون حدود حضارتهم الخاصة . »

بيد ان هذا « التكنيك » لم يوتِ ثماره المرجوة ، وقد رأينا الزعماء الوطنيين الذين عمل الاسبانيون على ترويضهم يتآمرون مع بعض الدول الاجنبية ضد اسبانيا الفرنكية ، وكان عبد القادر توريس صديق فرنكو المدلل في طليعة المحرضين على الثورة ، النافخين في بوقها . وقد خلق المعارضون هذا الجو في وقت كانت مدريد تتحفز لطعن فرنسا في الظهر والانقضاض على مراكش الفرنسية ( ١٩٤٢ ) ، فشغلتها الاضطرابات في المنطقة الخاضعة لها عن تنفيذ خطتها التوسعية .

وما وضعت الحرب اوزارها حتى بدل فرنكو لهجته وطاب له التغني بالاخوة الاسبانية — الاسلامية ، في خطبه وتصريحاته وبياناته ، ودلل على رغبته في التقرب من المسلمين بتشجيعه المثقفين من ابناء اسبانيا على درس اللغة العربية ، وبادخال اللغة العربية مادة اساسية في منهاج معهد الآداب العالي . وانشأ في تطوان معهداً للعلوم الشرقية وآخر للشرع الاسلامي .

والتفت الاسبانيون خلال السنوات العشر الاخيرة اكثر من التفاتة الى الوراء لانهم اكتشفوا ، بعد فوات الاوان ، اهمية الحضارة الاسلامية التي خلفها العرب في قرطبه واشبيلية وغرناطة . وفي عهد الجنرال فرنكو نشطت دار الآثار لاستجلاء كنوز الفن الاندلسي والتنقيب عن الدفين منها . وتبارى الاثرياء في تشييد القصور ذات الطراز العربي . وارصدت الحكومة الملايين لترميم المباني الاثرية

التي امتدت اليها الايدي بالعبث بعد خروج العرب من اندلسهم ولم يشفع بما بقي منها الا كونها لازمة لمصالح الدولة او ارباب النفوذ .

-

تعتبر صحيفة « موندو » التي تصدر في مدريد من اوسع المجلات الاوروبية اطلاعاً على الشؤون الاسلامية . وقد نوهت « موندو » اخيراً ، في فصول متتابعة ، بالروابط التي قامت في الماضي والتي تقوم الآن بين العالمين الاسلامي والاسباني ( يقصد بالعالم الاسباني : اسبانيا والبرتغال ودول اميركا اللاتينية ) . ومما قالته الصحيفة في هذا الصدد ما ننقله بالحرف :

« ان اسبانيا الجديدة هي الامة الوحيدة التي تفهم الاسلام وتقدر رسالته وتستطيع ان تتفاهم واياه . ذلك بان الاسلام جسر قائم بين الاجناس والقارات ، وليست اسبانيا الا قنطرة قائمة بين اوروبا وافريقيا واميركا . ولا ننس ان اشهر المفكرين المسلمين وفي طليعتهم ابن العربي ابصروا النور في اسبانيا . »

وتستطرد الصحيفة الاسبانية :

« ويبدو ان العرب المقيمين في اميركا اللاتينية ، ويربي عددهم على المليون ، مقتنعون بأنهم والاسبانيين من عنصر واحد . ويتسم انشاء الادباء العرب في البرازيل والارجنتين والمكسيك بطابع اندلسي صريح . »

وتأبى « موندو » الا توسيع نطاق سياسة اسبانيا الاسلامية ، فتحلم بقيام تعاون اوثق بين الشعوب العربية والشعوب الناطقة بالاسبانية . فـ « بين العالم الاسباني والعالم العربي شبه عظيم . وكما

تؤلف وحدة الشعوب الناطقة بالاسبانية قومية عليا مرتكزة على الطابع واللغة والثقافة المشتركة ، كذلك تؤلف وحدة العالم العربي قومية ترتكز على العوامل نفسها . وبفضل وحدة الطابع واللغة والثقافة تؤلف الشعوب الاسبانية امبراطورية روحية ، وتعمل الشعوب الناطقة بالضاد على بعث الامبراطورية العربية . »

انتهى كلام المجلة الاسبانية . والجدير بالذكر ان فريقاً من المفكرين العرب المقيمين في اميركا يذهبون مذهبها ويعتقدون ان ثمة انسجاماً كبيراً بين القوميتين العربية والاسبانية . وقد ذهب احدهم الدكتور حبيب اسطفان الى ابعد من ذلك فزعم ان الامتين شقيقتان وان اسبانيا هي الوطن الام لكلتيهما . ففيها بلغت اللغة والفنون العربية شأواً لم تبلغه في اي بلد عربي .

على ان اصداء هذه الاصوات لا تتجاوب في العالم العربي ، ويمكن القول ان حظ اسبانيا من عطف المسلمين كان وما يزال ضئيلاً .

## سياسة المانيا

للدول التي عرضنا لسياستها حيال الاسلام ، في الفصول المتقدمة ، رعايا محمديون . وقد كانت المانيا دولة استعمارية ولكن عدد المسلمين في امبراطوريتها ما كان ليقتضيها اعتماد سياسة معينة حيال الاسلام . ومع هـــذا فقد استندت اليه في سياستها الاستعمارية وكانت محاباة المحمديين الطابع المميز لادارتها في الممتلكات ذات الاكثرية الوثنية . ذلك بان المانيا كانت تطمح الى منافسة فرنسا وانكلترا في دنيا الاسلام . ففي العام ١٨٩٨ صرح الامبراطور غليوم الثاني في دمشق

بانه « حامي المسلمين وصديقهم » . وقد دلت زيارة الامبراطور لطنجه وظهور دارعة المانية في اغادير ١٩١١ ، ومشروع الخط الحديدي برلين - بغداد ، على مدى المطامع الالمانية في دنيا الاسلام . الا ان اخفاق خطط برلين في مراكش وايران اضطرها لصرف النظر موقتاً عن مشاريعها التوسعية ، فعمدت الى محالفة السلطنة العثمانية رغبة منها في التقرب من الاسلام واستخدامه في محاربة خصومها .

وفي العام ١٩١٤ طلب غليوم الثـاني من شيخ الاسلام دعوة المؤمنين الى الجهاد ، فارتكب بذلك غلطة بسيكولوجية فادحة ، لان الجهاد لا يعلن الا ضد الكفار فكيف يقاتل المسلمون اخوانهم ابناء مراكش وتونس والجزائر والسودان الخ ... المنخرطين في الجيوش الحليفة ؟

استغل عملاء بريطانيا في البلاد الاسلامية ، غــير العثمانية ، هذه الغلطة وحرضوا السكان على الثورة . فانقلب الجهاد في البلاد العربية ضد الذين دعوا اليه . وحاول الالمان اثارة الهند ومراكش ولكن محاولتهم منيت بالاخفاق .

وقد ادت هزيمة المانيا ١٩١٨ الى وقف جهودها في دنيا الاسلام بضع سنوات . الا ان رسل برلين ودعاتها ظلوا في مراكزهم وابقوا على الصداقـات التي انشأوها قبل الهزيمة ، حتى اذا ظفر الحزب الوطني الاشتراكي بالحكم وجد في متناوله منهاجاً كاملاً للعمل السياسي في الاقطار الاسلامية ، لا يعوزه الا التنسيق ووسائل الدعاية الحديثة .

ومنذ ١٩٣٣ شرع هتلر يتودد الى المسلمين ، مدخلاً في روعهم

ان الريخ الثالث لن يثأر لنفسه فحسب ، بل سيثأر للشعوب التي جعلتها فرنسا وانكلترا مطاياً لها . على ان تظاهر هتلر بالعطف على الاسلام لم يقف عند حد التصريحات والخطب والبيانات . فقد تطوع علماء الريخ الثالث وشخصياته الدبلوماسية والعسكرية وبعثاته الاثرية وبيوته التجارية في الخارج لاقناع المسلمين بان المانيا هي الدولة الاوروبية الوحيدة التي تستطيع تحريرهم وتحقيق مطامحهم القومية .

ومنذ ١٩٣٨ قام تعاون وثيق بين عملاء برلين وروما في الشرق العربي . وانشأت الدولتان مركزاً رئيسياً للدعاية في القاهرة ومراكز ثانوية في جده وصنعاء ودمشق . وكان قناصل الريخ الثالث وايطاليا الفاشستية يتصرفون بمبالغ طائلة ، ويعملون ليل نهار في سبيل تقوية المعارضة للسلطات الفرنسية والبريطانية في البلدان الخاضعة لنفوذ الدولتين .

وشجع الالمان على قيام منظمات واحزاب في معظم البلدان الاسلامية والشرقية على غرار الحزب الوطني الاشتراكي والشباب الهتلري . فظهرت في مصر وسوريا والهند والعراق منظمات القمصان الحمراء والخضراء والزرقاء . وحرص عملاء برلين في الوقت نفسه على تعريب انجيل هتلر « كفاحي » بعد ان شطبوا منه الفقرات التي تجعل من العرب عنصراً منحطاً .

وبعد هزيمة فرنسا ضاعف الالمان نشاطهم في دنيا الاسلام ، فانشأوا مركزين جديدين للدعاية احدهما في باريس والاخر في اثينا . ونيط بمركز باريس التمهيد لاحلال السيطرة الالمانية محل السيطرة

الفرنسية في المغرب . اما مركز اثينا فقد كان الغرض من انشائه تعزيز مراكز الدعاية في الشرق الاوسط باذاعات عربية من المحطة اليونانية .

ولم يكتف الالمان ببث دعايتهم في الديار الاسلامية ، فقد فتحوا ابواب بلادهم لاستقبال اللاجئين السياسيين من اعداء فرنسا وانكلترا ، وعملوا قبل نشوب الحرب على اجتذاب طلاب العلم من الاقطار العربية والاسيوية ، وارصدوا المبالغ الطائلة لتعزيز العلوم الشرقية في جامعتي برلين وفيينا ، وعهدوا الى اشهر المستشرقين بتأليف جمعيات المانية اسلامية تضم الزعماء والطلاب المحمديين واصدقاء الاسلام من الساسة والقادة والعلماء في الريخ الثالث .

وفي اثناء الحرب شجعت الحكومة الالمانية على قيام جمعيات اسلامية ذات طابع سياسي . ( لجنة الدفاع عن المغرب . اتحاد المسلمين . العرب الاحرار . لجان التحرر القفقاسية والاذربيجانية والتركمانية ) . وعمدت السلطات النازية بعد سقوط فرنسا الى وضع اسرى الحرب المغربيين في معسكرات خاصة حيث تولى اخصائيون في التخريب والدعاية والجاسوسية تدريبهم على هذه الاعمال حتى اذا اتقنوها اطلقت برلين سراحهم وارسلتهم الى افريقيا الشمالية ليعملوا فيها ضد فرنسا . الا ان جهود الالمان لم تؤت ثمارها فقد احبط خططهم في المغرب نزول الحلفاء على الشاطىء الافريقي وتقاص ظل فيشي عن تلك الديار .

وبعد تحرير افريقيا الشمالية الفرنسية قامت في باريس ، بتشجيع من السلطات الالمانية ، « لجنة مسلمي شمال افريقيا » ، واصدرت مجلة « الرشيد »

بالاتفاق مع الزعيم التونسي حبيب بو رقيبه وهو من الد اعداء فرنسا في المغرب . وقد وضعت اللجنة نصب عينيها تحقيق الاهداف التالية:

١ ـ وحدة الاقطار المغربية الثلاثة على اساس اللامركزية .

٢ ـ المساواة التامة بين سكان تونس والجزائر ومراكش .

٣ ـ حصر الوظائف بالوطنيين .

٤ ـ انشاء جيش وطني في شمالي افريقيا يكون قادته من المسلمين .

٥ ـ جعل التعليم اجبارياً وتعزيز اللغة العربية .

٦ ـ طرد اليهود والخونة .

٧ ـ الغاء الشركات الاحتكارية .

ولما لم يقابل هذا المنهاج بالحماسة المرجوة في الاوساط المغربية ضاعف الالمان الاهتمام باسرى الحرب من الافريقيين ، فأنشأوا في جنوب فرنسا فرقة كاملة من الرماة الصباحيين توطئة لارسال حملة من المغربيين الى الجبهة الشرقية حيث تعمل جنباً الى جنب العناصر التركمانية والاذربيجانية « التي تطوعت لانقاذ الاسلام المهدد بالخطر البولشفي » على حد قول الدكتور غوبلز .

الا ان تطور الحوادث حال دون ارسال الجنود المغربيين الى الجبهة الشرقية ، كما حال دون استخدامهم في المعارك التي دارت رحاها في الغرب بعد نزول الحلفاء في فرنسا .

وكان اخفاق الثورة العراقية بقيادة رشيد عالي الكيلاني قد اضطر فريقاً من زعماء الاسلام في الشرق العربي للجوء الى المانيا وايطاليا ، فانبرت الدعاية الالمانية تمجد جهاد الحاج امين الحسيني

مفتي فلسطين الاكبر وتحيي في شخصه « الزعيم المسلم الذي لا يرقى شك الى وطنيته واخلاصه والذي يعلق عليه العرب اطيب الآمال .». وذهب بعض الصحف الالمانية والايطالية الى ابعد من ذلك فرشح المفتي للخلافة ، وطفق يتحدث عن اتفاق شفوي عقد بين سماحته وبين حكومتي برلين وروما تتعهد فيه الحكومتان بمساعدة العرب على التحرر . وقد زعمت جريدة فرنكفورتر تسايتونغ ان برلين اكدت للاقطاب العرب اللاجئين اليها انها تعتبر نفسها صديقة للعالم الاسلامي وترغب رغبة صادقة في التعاون واياه على اساس تبادل المنافع .

وكتب « رودولف كيرخر » المحرر السياسي في الجريدة نفسها يقول : « نحن مقتنعون بان الشعوب الاسلامية امة راشدة يمكنها ان تدبر شؤونها بنفسها ، وانها لفي غنى عن ارشاد الفرنسيين والانكليز الذين ليسوا في الحقيقة سوى مستعمرين سيئي النية . والمانيا الوطنية الاشتراكية لا تشجع الحركات الاستقلالية في دنيا الاسلام فحسب ، فهي تتبع بعطف حركة الوحدة العربية وترجو مخلصة ان يوفق العرب الى تحقيق هذه الوحدة . »

الا ان مقالات « كولان روس » الكاتب الالماني المتصل بوزارة الخارجية لم تكن طافحة بمثل هذه العواطف المجردة . فقد ضرب روس على وتر القومية العربية وقال بوجوب تحرير العالم الاسلامي من ربقة العبودية والاستعمار . الا انه اقترح تنظيم « مدى حيوي اسلامي تحت اشراف اخصائيين من الالمان » ، وجعل هذا المدى تابعاً لمنطقة النفوذ الالمانية عسكرياً واقتصادياً .

ومهما يكن من خفايا السياسة الالمانية حيال الاسلام ، فلا مجال لانكار النجاح الذي اصابه الريخ الثالث في محاولته الرامية الى كسب صداقة المسلمين . فقد كانت برلين في الحرب نقطة التقاء الزعماء الناقمين على الاستعمارين البريطاني والفرنسي ، ومركز الحركات الثورية والتحررية ، وحركة الوحدة العربية ، وحركة التحرر الاسلامي ، والكفاح ضد الشيوعية والصهيونية الخ ...

اما وقد غلبت المانيا على امرها فسياستها حيال الاسلام تهجع في الوقت الحاضر هجعة عميقة ، ولكن ما حدث عقيب الحرب العالمية الاولى قد يحدث غداً ، فيخفي الالمان خططهم ويكتموا وسائلهم بانتظار الوقت المناسب حتى اذا حان هذا الوقت استأنفوا نشاطهم في العالم الاسلامي الذي اوشك في وقت ما ان ينخدع بدعايتهم .

## سياسة اليابان

ضاعفت الحرب العالمية الثانية اهتمام الدول العظمى بالمسألة الاسلامية ، وكان في جملة نتائجها المباشرة ظهور امبرطورية اسلامية جديدة انشأها اليابانيون بقوة السلاح .

لم تول اليابان المسائل الاسلامية عناية كبيرة قبل نشوب الحرب ولكنها اظهرت نشاطاً كبيراً حيال المسلمين من رعايا الميكادو وهم يتجمعون في العاصمة طوكيو ولا يربي عددهم على الالف . وقد سمحت لهم الحكومة منذ ١٩٢٣ بانشاء مدرسة خيرية . وفي العام ١٩٣٨ انشأوا مسجداً في طوكيو وآخر في « كوبه » .

بدأ اهتمام اليابان بالاسلام ابان الحرب الصينية اليابانية ١٨٧٥ . فقد لاحظ القادة اليابانيون ان الصين تواجه قواتهم بفيالق مسلمة شديدة المراس ، فقرروا منذ ذاك العمل على استمالة المسلمين الصينيين.

وفي العام ١٩٢٦ ثار مسلمو كانسو بتحريض من عملاء طوكيو. وبعد اربعة اعوام انشأ اليابانيون « عصبة اسلامية صينية » على رأسها خمسة من قادة القوات المسلمة في الصين . وقد وضعت العصبة نصب عينيها تحقيق اغراض ثلاثة هي : ١ – تحرير مسلمي الصين من سيطرة الاكثرية ، ٢ – انشاء مملكة مسلمة مستقلة ، ٣ – مكافحة الشيوعية في الصين .

وفي العام ١٩٣٨ شجع اليابانيون الحركة الانفصالية التي قام بها الزعيم المسلم « ما نشويان » في « قاشكار » و « اكسو » ، واعانوه في انشاء جمهورية في القسم الغربي من تركستان وفي نيتهم ان يستخدموا الدولة الجديدة في تهديد المواصلات بين روسيا والصين .

ولم تكتف اليابان بهذه الخطوة ، فقد سعت الى تشجيع الحركات الانفصالية في المناطق الروسية التي يدين سكانها بالاسلام ، ملوحة لمسلمي الصين وروسيا بامكان قيام امبراطورية طورانية تمتد من باكو الى اراموتشي .

وسرعان ما تجاوز نشاط اليابانيين الشرق الاقصى ، فولوا وجوههم شطر آسيا الوسطى والشرق الاوسط وانشأوا علاقات ودية مع ايران والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن والافغان وتركيا . واستطاعوا بفضل نشاطهم التجاري الخارق ان يزاحموا البضائع الانكليزية والفرنسية والالمانية في اسواق هذه البلدان . وقبل

نشوب الحرب العالمية الثانية باشهر معدودة عقدت اليابان اتفاقات تجارية مع العراق وايران . وارسلت الى الافغان بعثة عسكرية لتولي تدريب الجيش الافغاني . وفي العام ١٩٤١ اوفدت حكومة كابول بعثة تجارية الى طوكيو . وبعد اشهر وصلت الى الافغان بعثة من المهندسين اليابانيين لتشرف على بناء طرق استراتيجية.

وبعد نشوب الحرب في الشرق الاقصى والباسفيك عقد سفراء اليابان في الشرق الاوسط مؤتمراً خطيراً في كابول . وشاع على الاثر ان الافغان تلقت وعداً باعطائها منفذاً الى البحر في حال خروج اليابان من الحرب ظافرة .

واستخدمت اليابان سلاح الدعاية في استمالة العالم الاسلامي . فزعمت انها الدولة الوحيدة التي تستطيع حماية الاسلام . وعمد عملاؤها الى التغرير بالبسطاء من الناس زاعمين ان اليابانيين شعب مسلم وان الميكادو يصلي الجمعة في مسجد طوكيو . اما المثقفون فقد ادخل العملاء في روعهم ان اليابان قررت اعتناق الاسلام ، ولكن اللعبة لم تنطل على كثيرين بالرغم من مهارة الدعاة .

وفي هذه الاثناء كانت طوكيو توعز الى المستشرقين واساتذة الجامعات بالتوفر على دروس الشؤون الاسلامية . وامرت ممثليها في منشوريا بالاكثار من تشييد المساجد ، فبلغ عددها سنة ١٩٤٢ خمسة مسجد بنيت كلها على نفقة حكومة الميكادو .

الا ان هذه المحاولات في سبيل التقرب من الاسلام لم تؤت ثمارها المرجوة لان العدوان الياباني في الصين وضع اليابان في مصف الدول الاستعمارية التي يتململ المسلمون للتحرر من سيطرتها ويتبرمون بنيرها

الثقيل . ولم تتبدل نظرة الرأي العام الاسلامي في الدولة اليابانية حتى بعد انتصاراتها الاولى في الشرق الاقصى والباسفيك لان السلطات العسكرية في جزر الهند الهولندية وبورما وبلاد الملايو لم تنفذ وعداً واحداً من الوعود التي بذلتها حكومة الميكادو للسكان، فبدلاً من ان تعزز الاسلام في البقاع المحتلة ارغمت اعضاء المجالس التمثيلية فيها على الانحناء امام صور الميكادو ، وهي التي لم تتعود السجود الا للعزة الالهية .

يضاف الى هذا ان القادة اليابانيين الذين تولوا ادارة شؤون الهند الهولندية برهنوا عن قصر نظر في معاملة المسلمين ، فلم يرعوا لتقاليدهم حرمة ، ولم يتورعوا عن ارغام الائمة والمشايخ على حمل السلاح .

## سياسة الولايات المتحدة

لئن يكن اسلام الشرق الاقصى قد اوشك ان يخضع للسيطرة اليابانية ، فاسلام الشرق الاوسط ينتقل تدريجياً من دائرة النفوذ البريطاني الى دائرة النفوذ الاميركي .

يقول كاتب الماني ان سياسة الولايات المتحدة حيال الاسلام « تنبعث منها رائحة البترول » . ذلك بان هذه السياسة ترسم خطوطها في معظم الاحيان شركات النفط في بلاد الدولار . ولولا النفط لظل اهتمام الاميركيين عادياً بدنيا الاسلام .

ففي اواخر تشرين الثاني ١٩٤٣ خطب المستر هارولد ايكس وزير الداخلية في الحكومة الاميركية عامئذ ومدير احدى شركات النفط ، فاوضح ان مركز امبراطورية النفط اخذ بالتحول وربما انتقل

الى الشرق الاوسط حيث تكثر الينابيع في اقطار غير مستقرة لاستثمار هذا الذهب الاسود ، فهناك آبار العراق والحجاز وايران والبحرين والافغان .

واستطرد هارولد ايكس يقول :

« لقد استنفدت الحرب بترولنا او تكاد . فنحن نقدم لحلفائنا ٩٥ بالمئة من بنزين الطائرات الذي يحتاجون اليه . ولن يمضي خمسة عشر عاماً حتى ينفد احتياط البترول الذي لدينا . وقد جف معظم آبارنا . فعلينا اذاً ان نكون متأهبين لاثبات وجودنا حيثما وجد بترول . »

وقد سبق للشركات الاميركية ان تثبت وجودها حيثما وجد بترول لمحاولة الظفر بحصة الاسد . ففي العام ١٩٢٠ تذرعت الولايات المتحدة عند وضع عهدة سان ريمو بمبدأ الباب المفتوح ونالت ٧٥ بالمئة من اسهم شركة البترول العراقية .

ومن ثم نشط الخبراء الاميركيون للتنقيب عن البترول في الشرق الاوسط فاتضح لهم ان هذه المنطقة غنية جداً بالذهب الاسود . وفي العام ١٩٣١ نالت شركة ستندرد اويل (كاليفورنيا) امتيازاً في البحرين واستنبطت من ارضها منابع غزيرة ، مع ان المهندسين الانكليز لم يوفقوا الى العثور على شيء . وبعد عشر سنين شمل الامتياز الاميركي جزر البحرين كلها وساهم في استنباط النفط عدة شركات اميركية .

وتطلع الاميركيون الى اراضي المملكة العربية السعودية ، فعقدوا مع عاهلها سنة ١٩٣٣ عدة اتفاقات بترولية . وبعد ست سنوات تقاضاهم الملك مليوناً ومئة وخمسين الف دولار لقاء منحهم

امتيازاً بالتنقيب عن البترول في منطقة مساحتها تسعون الف ميل مربع . وما لبث ان اجاز لشركة ستاندرد اويل التنقيب في القسم الشرقي من المملكة . وفي العام ١٩٤٣ اجاز لهم التنقيب في طول البلاد وعرضها . وعقد مع شركة ستاندرد اويل اتفاقاً يجيز لها مد انابيب عبر اراضي شبه الجزيرة العربية من الخليج الفارسي حتى البحر الاحمر .

حصل الاتفاق في نيسان ١٩٤٣ ، وفي تموز من العام نفسه اشترت الحكومة الاميركية اربعين بالمئة من اسهم الشركة وقررت ان تأخذ على عاتقها مد الانابيب فدلت بهذه الخطوة على اعتزامها التدخل في الشرق الاوسط وتوسيع نطاق مصالحها فيه . وكانت شركات البترول الاميركية قد افلحت في الحصول على امتيازات في ايران حيث بدأت شركة « غولف اويل » تزاحم الشركة الانكليزية – الايرانية . اما العراق فثمة مساعٍ اميركية للحصول على اسهم في الشركة التي تستثمر زيته .

وفي مصر نالت احدى الشركات الاميركية امتيازاً بالتنقيب في منطقة مساحتها ٦١ الف كيلومتر مربع ، بينما لا تزيد مساحة الارض التي ينقب فيها الانكليز على ثلاثين الفاً . اما مشروع الانابيب الذي اخذت الحكومة الاميركية على عاتقها تحقيقه فقد قدرت تكاليفه بسبعمئة مليون دولار . ويتوقف الشروع في تنفيذه على نجاح المفاوضات الدائرة بين ممثلي شركة البترول السعودية وحكومات البلدان التي ستمر الانابيب في اراضيها .

يتضح مما تقدم ان سياسة الولايات المتحدة حيال الاسلام

تنبعث من خلالها رائحة البترول . ولكن الرأي العام الاسلامي يتتبع بقلق تطور النفوذ الاميركي في دياره ويحسب الف حساب للانقلاب العميق الذي سيطرأ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بفعل نشاط شركات التنقيب واتساع مشاريعها . فقد هبط الاقطار العربية وايران منذ ان وضعت الحرب اوزارها الوف الخبراء والمهندسين والمنقبين وموظفي الشركات ، وهجر البدو مضاربهم ليضعوا سواعدهم في خدمة الشركات ، وامتلأت المدن بابناء الارياف وقد هبطوها ليؤمنوا لانفسهم عملاً في ورش المهندسين الاميركيين ، بحيث لن يمضي طويل وقت حتى تتفسخ الاخلاق وتنشأ في ديار الاسلام طبقة بروليتاريا تضيق بها وبمطالبها صدور المؤمنين المحافظين.

قلنا في مستهل هذا الفصل ان اهتمام الولايات المتحدة بالشؤون الاسلامية كان عادياً قبل الحرب العالمية الثانية . وقد تجلى هذا الاهتمام بقيام الجامعات والمصانع والمؤسسات الصحية والتبشيرية في آسيا الوسطى والشرق الاوسط وافريقيا (المصانع في الافغان والعراق ، والمعاهد والمستشفيات في لبنان ومصر وايران ) . وقد مثلت الجامعتان الاميركيتان في استنبول وبيروت دوراً كبيراً في نشر العلوم والمعارف .

اما اليوم فديار الاسلام كلها توشك ان تدخل في دائرة النفوذ الاميركي ، النفوذ الذي يتجلى باشكال خمسة : الدبلوماسي ، والزراعي ، والمالي ، والعسكري ، والثقافي .

فالنشاط الدبلوماسي يبذل في كل مكان للولايات المتحدة فيه مصالح قائمة او قيد الانشاء . وقد رأينا وزراء هذه البلاد المفوضين يشجعون

الحركات الاستقلالية في الشرق العربي ، ولا يزال السوريون واللبنانيون يذكرون مواقف المستر وودسورث ويصفونه بانه صديق الشعبين ونصيرهما .

ويتجلى العمل الزراعي بتطوع المهندسين الاميركيين والدوائر الزراعية الاميركية لارشاد البلاد الاسلامية الى احدث الوسائل والطرق المؤدية الى تحسين المواسم واستغلال الاراضي وتعميم الري .

اما العمل المالي فيقوم على سياسة القروض ، وهي الناحية الرسمية من العمل ، وعلى نشاط المؤسسات المالية والمصرفية . ويحاول الاميركيون ان يوحدوا النقد في البلاد العربية ويربطوه بالدولار ، مع العلم ان العملة في معظم الاقطار الناطقة بالضاد مرتبطة بالجنيه . وقد اخر هذا التنافس بين الدولار والجنيه زوال ظروف الحرب الاستثنائية في دنيا العرب .

بقي العمل العسكري . وهو يتجلى بايفاد بعثات من الضباط الاميركيين لتدريب الجيوش العربية ( كالبعثة الاميركية الى اليمن ) وبالموانئ والطرق والسكك الحديدية التي انشأتها السلطات والشركات الاميركية ( الطريق بين الدار البيضاء والقاهرة ، والخط الحديدي الذي يربط الخليج الفارسي بالرياض ) . وليس ثمة ما يجيز الاعتقاد ان الولايات المتحدة ستتخلى عن هذه المنشآت التي اقتضتها ظروف الحرب ما دام في وسعها استخدامها في مشاريعها الاقتصادية الواسعة .

يعترف الاميركيون انهم احرزوا هذا المركز المرموق في الديار الاسلامية بفضل ظروف الحرب ، ويعتقدون انهم مدينون بتسهيل مهمتهم الى سمعتهم العاطرة التي تجعل منهم ، في نظر الشعوب

المستضعفة ، امة ديموقراطية مجردة من المطامع . لهذا نراهم يتحاشون الظهور بمظهر الدولة القوية التي تسعى الى الحلول محل المستعمرين الاوروبيين في العالم الاسلامي . وفي الوقت نفسه تحاول الولايات المتحدة نشر ثقافتها في الاقطار العربية والاسلامية بانشاء معاهد وجامعات جديدة في عواصمها ، وبفتح ابواب المعاهد الاميركية في وجوه الطلاب الراغبين في التخصص من ابناء الشرقين الاوسط والادنى .

ويعتقد الاميركيون انهم يستطيعون الاعتماد على الجاليات العربية في بلادهم في التمكين لنفوذهم في افريقيا وآسيا الصغرى . والعرب الغاربون في الولايات المتحدة من انشط العناصر الغريبة وافضلها تنظيماً . ويربي عددهم على نصف مليون . وفي نيويورك وحدها مئة الف لبناني ومصري وسوري . ولهؤلاء صحفهم وانديتهم ومصارفهم ومدارسهم . وقد زادتهم الغربة استمساكاً بعروبتهم .

وبديهي ان يؤثر هؤلاء المغتربون ان يروا الرساميل الاميركية تستثمر في اوطانهم والثقافة الاميركية تنتشر في ربوعها ، على رؤية هذه الاوطان فريسة المطامع الاستعمارية الاوروبية .

## سياسة روسيا السوفياتية

لئن تكن السياسة الاميركية حيال الاسلام قد رسمت خطوطها الشركات البترولية ، فقد رسمت خطوط السياسة الروسية حيال الشعوب الاسلامية قوة لا تقل شأناً عن الشركات ، عنينا الدولية الثالثة .

مرت السياسة الروسية حيال الاسلام في مراحل ثلاث ، ففي المرحلة الاولى ( ١٩١٧ - ١٩٢٠ ) حرص السوفيات على استرضاء الاقليات المسلمة التي كانت تنوء بالنير القيصري فانشأوا جمهوريات مستقلة في القفقاس المسلم واحترموا الشعائر الاسلامية ولم يتعرضوا للمشايخ باذى ، بينا كان اضطهاد رجال الكنيسة الارثوذكسية قائماً على قدم وساق .

وفي المرحلة الثانية ( ١٩٢١ - ١٩٢٨ ) قرر السوفيات اخضاع الجمهوريات المسلمة للنظام الشيوعي وشرعوا ينفذون المنهاج التالي :

١ - توزيع الاراضي الموات على صغار الفلاحين المسلمين .

٢ - حل الهيئات الدينية .

٣ - القضاء على الحركة الطورانية .

٤ - منع مسلمي الاتحاد السوفياتي من اداء فريضة الحج لاعتبارات وطنية .

الا ان موسكو لم تسفر عن نياتها كاملة قبل ١٩٢٩ ، ففي هذا العام خطت خطوة حاسمة نحو بلشفة المسلمين غير ملتفتة الى احتجاجات رجال الدين ، فحررت المرأة ، واقفلت المساجد ، ووضعت المشايخ المعارضين في معسكرات الاعتقال ، وحولت جامعة سمرقند الى ناد يغشاه الملحدون .

وقد رأى زعماء الاقوام الاسلامية ان ينقذوا ما يمكن انقاذه بايجاد حل وسط . فعهدوا الى المفتي الاكبر رازوليف بان يتفاهم والبلاشفة ، فاستطاع المفتي اقناع موسكو بان بلشفة المؤمنين لا يمكن ان تتم دفعة واحدة ، واخذ على عاتقه تحقيق هذا الهدف تدريجاً .

وسارت الامور على ما يشتهي الفريقان الى ان شعر السوفيات بان هبوب العاصفة وشيك ، فعدلوا سياستهم حيال مسلمي الاتحاد السوفياتي ( المرحلة الثالثة ١٩٣٨ ) بان اطلقوا المعتقلين ورفعوا رقابتهم عن الاوقاف الاسلامية . ولكنهم تحولوا الى انصار الوحدة الطورانية فاعملوا فيهم السيف ، وعهدوا الى المدن ذات الاسماء التركية فاطلقوا عليها اسماء جديدة ، ووعدوا الجمهورية المسلمة بتوسيع صلاحياتها بعد انتهاء النزاع ، بحيث يكون لها ممثلوها الدبلوماسيون في الخارج . وقد ارادت موسكو بهذا ان تبعث الى الدول الاسلامية بممثلين يعملون على توجيه السواد بما يتفق ومصلحة الاتحاد السوفياتي .

يتضح مما تقدم ان سياسة الاتحاد السوفياتي حيال المسلمين رعايا الاتحاد املتها اعتبارات محلية بحت . اما سياسته حيال الاسلام عموماً فقد املتها مصالحه الدولية واستوحى الكرملين خططها من اضبارات العهد القيصري ، وعهد بالتنفيذ الى الدولية الثالثة (الكومنترن) . وقد ادرك السوفيات ان الخادم قد يفسد خططهم في ديار الاسلام وفي الاوساط المسيحية التي كان القياصرة يتدخلون في شؤون الامبراطورية العثمانية بحجة حمايتها ، فاعلنوا ان البلشفية ليست مادة للتصدير ، وان الاتحاد السوفياتي يتتبع بعطف الحركات التحررية في البلدان الخاضعة للسيطرة الاجنبية .

وقد رسم تشيشرين لمواطنيه خطة العمل فقال ان الشعوب الشرقية المستعبدة ستجد في روسيا الحمراء حليفاً طبيعياً اذا عرف السوفيات ان يستميلوا هذه الشعوب بتجردهم ، وان يثيروها ضد الاستعمار والاجانب . وكانت روسيا السوفياتية في مستهل عهدها ، تتلمس الطريق

الى الاستقرار ، فعملت بنصيحة تشيشرين في وقت كان الانكليز والفرنسيون يقتسمون فيما بينهم البلاد العربية ، فحمد الرأي العام الاسلامي للروس الحمر بوادر طيبة منها اعادة بعض المناطق القفقاسية الى تركيا والتنازل عن الامتيازات الروسية في ايران وتشجيع الحركات الاستقلالية في افريقيا الشمالية الفرنسية ومصر والهند والافغان .

وعقد في باكو وموسكو بين ١٩٢٠ و ١٩٢٤ اربعة مؤتمرات اسلامية حضرها مندوبو معظم البلدان الخاضعة للسيطرة الاستعمارية واتخذت هذه المؤتمرات مقررات ضد الانكليز والفرنسيين .

وفي هذه الاثناء كانت الدولية الثالثة وممثلو روسيا الدبلوماسيون يمهدون السبيل في الخارج امام الاستعمار السوفياتي او المطامع القيصرية بشكلها الجديد . وقد تمكن رسل الدولية الثالثة من تأليف احزاب شيوعية في اربعة اقطار العالم ، تتولى قيادة الحركات العمالية وتقف بالمرصاد للمطامع الانكليزية وغيرها ، وتخدم قدر طاقتها المشاريع السوفياتية . الا ان اللعبة البولشفية ما عتمت حتى اتضحت لكل ذي عينين ، وادركت الاقوام الاسلامية التي خدعتها الظواهر وغرر بها رسل موسكو ان العطف الذي ابداه الروس على امانيها القومية كان ذراً للرماد في العيون ، وان السوفيات يطمحون بعد تحررها الى الحلول محل المستعمر السابق . ( وهو ما وقع لمقاطعة تركستان الصينية التي شجعها السوفيات على تحطيم النير الصيني ، وهي اليوم شبه محمية سوفياتية ) .

واستخدم الروس في الحرب الاخيرة الاحزاب الشيوعية في البلدان

« التي حرروها » في تحقيق اهدافهم التوسعية ، وكادت لعبتهم في شمال ايران تطيح باستقلال هذه الدولة لو لم يتدخل الانكلوسكسون مدفوعين بالرغبة في حماية مصالحهم البترولية هناك . وقد استغلت الدول الرأسمالية هذه الحوادث وقامت في ديار الاسلام بدعايات منظمة ضد البلشفية ، محاولة استفزاز الشعور الديني لان المبادىء الشيوعية منافية لتعاليم الدين الحنيف .

ويلوح ان الصراع بين الاستعمار الغربي والاستعمار الروسي بدأ يفقد طابعه العقائدي منذ ان وضعت الحرب اوزارها . فقد كان السوفيات قبل الحرب يوغرون صدور المسلمين ضد الرأسمالية مستعبدة الشعوب ، اما اليوم فتراهم يضربون على وتر القومية داعين الشعوب الاسلامية الى الاتحاد والتحرر من نير الاجنبي . اما الدول الغربية فانها تحث الحكومات الاسلامية على مكافحة الشيوعية المحلية وتتخذ من حوادث ايران ومن موقف روسيا ازاء تركيا دليلاً على ما بيته السوفيات للاقوام المستضعفة .

## الاسلام والرسالات التبشيرية المسيحية

ادى الجهاد والحملات الصليبية الى افساد العلاقات بين المسيحية والاسلام ، وادى استمرار القطيعة في حقبة المهادنة الى تطور هذين العالمين ، كل على حدة ، واقتصرت العلاقات بينهما على تبادل السفراء تبادلاً محدود النطاق .

ولكن ما ان فتح الشرق ابوابه في وجه الغرب حتى هبطته الرسالات الكاثوليكية والبروتستنتية ، فتوفرت على درس اللغات

الشرقية وعملت على نشر العلوم واستخراج الكنوز الدفينة في بطون التواريخ . الا ان نشاطها لم يكن مجرداً . فهي قد هبطت ديار الاسلام لتبشرها بتعاليم الانجيل وتخدم مشاريع دول الغرب التوسعية. ويمكن القول ان مجهودها في هذا الحقل أوتي ثماره . اما رسالتها التبشيرية فقد ظلت نتائجها تافهة بالقياس الى الجهود المبذولة . ذلك بان المسلمين لم يأخذوا من نتاج الغرب الا ما يتفق وتعاليم الكتاب، ونبذوا ما عداه . ولما ذهبت عبثاً محاولات الرسالات الكاثوليكية والبروتستنتية في سبيل « هداية » الشرقيين ، بدلوا «تكتيكهم» التبشيري، وراحوا يضربون على وتر جديد محاولين ايجاد وجوه للشبه بين تعاليم الانجيل والآيات القرآنية ، فجاراهم المؤمنون الى حد ، ولكنهم ظلوا منكمشين ، يأبون الذهاب بعيداً في هذا المضمار .

وفي القرن التاسع عشر اقتنعت الرسالات بعقم مجهودها في ديار الاسلام ، فحصر معظمها نشاطه في حقل التربية والتعليم وفي الاعمال الخيرية . اما الرسالات التي ابت الا المضي في التبشير فقد قضى على نشاطها في القرن العشرين التدابير السلبية التي لجأت اليها الحكومات المحلية بتحريض من العلماء .

# ايلويز وابيلار

بقلم **لوبى الحاج**

هي الحلقة الاولى من السلسلة الجديدة التي تنشرها دار المكشوف بعنوان «اشهر العشاق» .

وايلويز وابيلار هي مأساة عاشقين لوعهما الغرام العنيف ، فتحابا واثمر حبهما ، ثم باعد القدر بينهما فتبادلا رسائل من اروع ما خطته يد المحبين .

وتمتاز هذه المأساة الغرامية من سواها بانسانية عميقة لم يعرف القلب والجسد خلال القرون الماضية اقوى منها تجارب واشد اضطراباً وابعث على الشفقة ، حتى ان جان جاك روسو لما اراد ان يكتب قصة عاشقة تعتعها الحب لم يجد عنواناً يليق بها سوى «ايلويز الجديدة» فكانت قصته فتحاً عظيماً في عالم القصة الاوروبية ، ورسالة الرومنطيقية الاولى الى ابناء الارض .

ف

ابا
يد

ب

ة